الفصل الثالث

الجهاد والنضال السياسي للمرأة المسلمة المصرية في التاريخ المعاصر

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

ونقصد بالتاريخ المعاصر لمصر تاريخها منذ الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨م، وهو تاريخ شهدت فيه مصر مثلها مثل غيرها من بلدان العالم الإسلامي العديد من عمليات الغزو العسكري والاحتلال الأجنبي ومحاولة طمس هويتها الحضارية والثقافية، وكان للمرأة المسلمة في مصر بالضرورة واستنادًا إلى الوجدان الإسلامي دورها في مقاومة الاحتلال والتغريب والاستبداد والتمسك بالهوية الحضارية والثقافية والتأكيد على الذات والمشاركة في مجمل النضال الوطني دفاعًا عن الدين والأرض.

جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر سنة ١٧٩٨ وكان الهدف منها احتلال مصر والقضاء على تميزها الحضاري والثقافي وربطها بفرنسا، وهبَّ الشعب المصري كله للدفاع عن الوطن والثقافة ضد المحتل الكافر، واندلعت المقاومة المسلحة في كل مكان من مصر، في الوجه البحري والقبلي والقاهرة، وكانت المرأة المسلمة في مصر في القلب من هذه المقاومة. فبمجرد نزول الحملة في الإسكندرية كان الرجال والنساء في خندق المقاومة.

يقول الرافعي : «احتشد الأهالي الذين يحملون السلاح على الأسوار وفي الأبراج التي تتخللها للدفاع، فلما اقترب الجيش الفرنسي وقبل أن يبدأ هجومه صعد نابليون على الربوة المقامة عليها عامود السواري ورأى أهل الإسكندرية محتشدين بأعلى الأسوار مشاة وركبانا، رجالاً ونساءً، كبارًا وصغارًا ومعظمهم مسلحون بالبنادق والرماح، فأصدر أمره بالهجوم العام وأخذ الأهالي يطلقون النار وانتهى الأمر بدخول المدينة وكانت مقاومة الأهالي قد فدحتهم بالخسائر فهاجموا الناس في بيوتهم فدافع هؤلاء عن أنفسهم وأخذوا يطلقون الرصاص من البيوت على الجنود المهاجمين وكاد نابليون نفسه أن يصاب برصاصة قاتلة»[1].

(١) عبد الرحمن الرافعي – تاريخ الحركة القومية تطور نظام الحكم في مصر – الجزء الأول – دار المعارف – الطبعة الخامسة – ١٩٨١ ص ١٧٠.

ويقول بوربين سكرتير نابليون الخاص : «دخل بونابرت المدينة من حارة لا تكاد لضيقها تسع اثنين يمران جنبًا لجنب وكنت أرافقه في سيره، فأوقفتنا طلقات رصاص صوبها علينا رجل وامرأة من إحدى النوافذ واستمرا يطلقان الرصاص فتقدم جنود الحرس وهاجموا المنزل برصاص بنادقهم وقتلوا الرجل والمرأة»[1].

واستمرت المقاومة في الإسكندرية بعد احتلالها، وكذلك في كل المدن والقرى التي سارت بها قوات الحملة حتى وصلت إلى القاهرة، وقد استخدم المؤرخون ألفاظ الأهالي، والجموع، والناس لوصف المقاومين مما يدل على اشتراك النساء في المقاومة؛ لأنه لو لم تكن النساء تشارك لاستخدم المؤرخون كلمة الرجال مثلاً أو الجنود، حتى نلاحظ أن المقاومين استخدموا البنادق والسيوف وكذلك الأحجار وأن المقاومة كانت من المساجد والشوارع والبيوت وأسطح المنازل؛ مما يدل على اشتراك النساء فيها، وخاصة تلك التي تنبعث من المنازل أو أسطح المباني أو تلك التي كانت الحجارة هي سلاحها.

أما في ثورة القاهرة الأولى فقد استخدم أيضًا المؤرخون من المصريين والفرنسيين على حد سواء ألفاظ الجموع، والأهالي، والناس، والحشود مما يدل على اشتراك كل أهل القاهرة من رجال ونساء فيها، ومما يُعدُّ دليلاً قطعيًا يبين مشاركة النساء في ثورة القاهرة الأولى هو قول المسيو بوربين سكرتير نابليون الخاص في مذكراته «سيق المسجونون إلى القلعة، وكنت أتولى في مساء كل يوم كتابة الأوامر القاضية بإعدام اثنى عشر سجينًا كل ليلة، وكانت جثث القتلى توضع في زكائب وتغرق في النيل، واستمر ذلك ليال عديدة، وكان كثير من النساء ممن نُفِّذ فيهم حكم الإعدام ليلا»[2].

(١) مذكرات بوربين سكرتير نابليون الخاص - الجزء الأول.

(٢) مذكرات بوربين سكرتير نابليون الخاص - الجزء الأول.

وبديهي أنه طالما كان من المحكوم عليهم بالإعدام عدد من النساء فإن هذا يعني أن النساء كن ضمن قيادات الثورة أو المشاركين فيها أو المنظمين لها، ويؤكد الرافعي على ذلك بقوله : «وقد أسرف الفرنسيون في القتل بعد الثورة ولم تأخذهم رحمة بالنساء فقتلوا كثيرًا منهن»[١].

وفي قريتي غمرين وتتا وهما بلدتان متجاورتان شمال منوف يقول الكابتن فيروس في رسالته إلى الجنرال كافاريللي في ١٣ أغسطس سنة ١٧٩٨ : «تعاونت الكتيبتان الفرنسيتان على مهاجمة قرية غمرين فأخذناها عنوة بعد قتال ساعتين وقتلنا من الأهالي من أربعمائة إلى خمسمائة بينهم عدد من النساء كن يهاجمن جنودنا بكل بسالة وإقدام»[٢].

. ويعلق الرافعي على ذلك قائلاً: «فانظر إلى هذا الوصف، وتأمل كيف كان النساء يشاركن الرجال في مقاتلة الفرنسيين، وهذا لعمري من أبلغ ما يذكر عن استبسال شعب في الدفاع عن كيانه، وأبلغ منه أن الشهادة جاءت به من عدو، وسنرى في خلال الوقائع التي تأتي عليها الفصول التالية أن النساء كن في بعض البلاد يشاركن الرجال في مقاومة الفرنسيين»[٣].

ويقول ريبوا عن المقاومة في المنصورة «نادت المدينة كلها بالثورة رجالاً ونساء، وكان النساء يحرضن أزواجهن على أن يثوروا بالفرنسيين»[٤].

---

(١) الرافعي – مرجع سابق ص ٢٨٤ – الجزء الأول.

(٢) وقد ذكر نابليون في رسالته إلى الديركتوار بتاريخ ١٧ أغسطس سنة ١٧٩٨ واقعة غمرين بإيجاز، ونشرت رسالته في مراسلات نابليون الجزء الخامس وثيقة رقم ٢٤٨٨.

(٣) الرافعي – مرجع سابق – ص ٣٠٢ – الجز الأول.

(٤) الجنرال ريبوا – التاريخ العلمي والحربي للحملة الفرنسية – الجزء الثالث.

وعن المقاومة في جزيرة فيلة فيقول الجنرال بليار في يومياته : «حمل الأهالي أسلحتهم وصاحوا صيحات القتال ورأينا النساء ينشدن أناشيد الحرب والهيجاء ويهيلون التراب في وجوهنا»[1].

وفي ثورة القاهرة الثانية التي كانت من أشد الثورات على الفرنسيين والتي اشترك فيها أهل القاهرة جميعًا رجالاً ونساء وأطفالاً، فإن ذكر اشتراك النساء في الثورة أمر بديهي، وهم يدخلون في عداد الثوار عند حديث المؤرخين عن الناس، أو العامة، أو الجمهور أو الأهالي، وقد جاء ذكرهن مباشرة في أكثر من مرجع نذكر منها المسيو جالان الذي يقول : «اندفعت جموع الثائرين تتقدمهم طائفة من المماليك والانكشارية وانضم إليهم النساء والأطفال، فكان لهم نداءات تصم الآذان وهبت عاصفة الثورة على أحياء العاصمة كلها»[2].

ويقول الرافعي : «اتسع نطاق الثورة وغامرت فيها طبقات الشعب كافة»[3].

ويقول الرافعي أيضًا: «تطوع الأهالي لإمداد الثوار بالزاد وتوزيع الإمدادات وكذلك جميع أهل مصر كل إنسان سمح بنفسه وجميع ما يملكه»[4].

وهكذا فإن المرأة المسلمة استمرت تقاتل إلى جانب الرجل حتى نجح الشعب المصري رجالاً ونساءً في إجلاء الفرنسيين سنة ١٨٠١، وبديهي هنا أن نقول : إن الثورة التي شملت كل شبر في مصر من القاهرة والأقاليم، والقرى والمدن، الوجه البحري والقبلي، كانت ثورة شعبية شاملة، وبالتالي شاركت فيها المرأة في كل مكان

(١) نقلاً عن الرافعي – مرجع سابق ص ٣٦٧

(٢) المسيو جالان – صورة مصر أثناء إقامة الجيش الفرنسي.

(٣) الرافعي – مصدر سابق ص ١٥٢ الجزء الثاني.

(٤) الرافعي – مصدر سابق ص ١٥٤ الجزء الثاني.

ولكننا اكتفينا بتسجيل أقوال المؤرخين التي جاء فيها ذكر النساء مباشرة وذكر مشاركتهن في المقاومة.

***

وعندما جاءت الحملة الإنجليزية بقيادة فريزر سنة ١٨٠٧ تكرر نفس الشيء، وقاومت رشيد من خلال أهلها رجالاً ونساءً فهزموا الجيش الإنجليزي وكذلك تطوع الأهلي رجالاً ونساءً من القاهرة والأقاليم وتجمعوا في معركة كبيرة ضد الإنجليز وانتصروا عليهم في موقعة الحماد وانتهى الموقف بجلاء الإنجليز عن مصر وفشل حملتهم عليها سنة ١٨٠٧.

◆◆◆

دور المرأة المسلمة في أحداث ثورة عرابي

وفي أحداث الثورة العرابية، وعندما جاء الإنجليز إلى الإسكندرية تطوع الأهالي من رجال ونساء للدفاع عن المدينة، وفي هذا الصدد يقول محمد عبده: «كان الرجال والنساء تحت مطر الكلل ونيران المدافع ينقلون الذخائر ويقدمونها إلى بعض بقايا الطوبجية الذين كانوا يضربونها، وكانوا يغنون بلعن الأميرال سيمور ومن أرسله»[1].

ويقول عرابي في ذلك: «وفي أثناء القتال تطوع الكثير من الرجال والنساء في خدمة المجاهدين ومساعدتهم في تقديم الذخائر الحربية وإعطائهم الماء وحمل الجرحى وتضميد جروحهم ونقلهم إلى المستشفيات»[2].

ويقول محمود باشا فهمي في كتاب البحر الزاخر: «ورأيت في ذلك الوقت بعيني ما حصل من غيرة الأهالي بجهة رأس التين وأم كبيبة وطوابي باب العرب وهمتهم في مساعدة عسكر الطوبجية من جلبهم المهمات والذخائر وخراطيش البارود والمقذوفات هم ونساؤهم وأولادهم وبناتهم والبعض من الأهالي صار يعمر المدافع ويضربها على الأسطول»[3].

وقال عرابي في مذكراته: «إنه استشهد من رجال الطوابي وحدهم مائة رجل وامرأتان من المتطوعات اللواتي كن يضمدن الجرحى وهذا طبعًا عدا خسائر

(١) محمد عبده – مذكرات ص ٢٥٠ تاريخ الأستاذ الإمام للسيد محمد رشيد رضا.

(٢) مذكرات عرابي.

(٣) محمود باشا فهمي – البحر الزاخر ج ١ ص ٢٢٠.

الأهلية في المدينة»[١].

وفي إطار التبرع للمجهود الحربي للجيش المصري ضد الإنجليز عام ١٨٨٢ نجد أن الرجال والنساء على حد سواء قد تطوعوا أو تبرعوا، وقد جاء ذكر بعض السيدات اللاتي تبرعن للمجهود الحربي المصري ومنهن والدة الخديوي إسماعيل وحرم خيري باشا رئيس ديوان الخديوي وحرم رياض باشا وكثير من الذوات والسيدات[٢] ونلاحظ هنا أن سيدات العائلة الخديوية أو زوجات كبار الموظفين قد تبرعن برغم أنف الخديوي وكبار موظفيه وكان الخديوي منحازًا إلى المعسكر المعادي للثورة العرابية ومؤيدًا للإنجليز، وهذا يدل على مدى شجاعة هؤلاء النسوة في أثناء الاحتلال الإنجليزي لمصر، وكان من الشهداء الكثيرات من النساء ففي حادثة دنشواي سنة ١٩٠٦ كانت الشهيدة أم محمد زوجة محمد عبد النبي هي أول من سقط برصاص الإنجليز، وكان استشهادها سببًا في هياج الأهالي ويقول الرافعي : «وأقبل الرجال والنساء والأطفال هائجين الخواجة قتل المرأة وحرق الجرن، الخواجة قتل المرأة وحرق الجرن، وأحاطوا بالضابط وجاء بقية الضباط الإنجليز لإنقاذ زميلهم فتكاثرت جموع الأهالي.. وحملوا على الضابط بالطوب والعصى الغليظة وأثخنوا من لحقوا بهم ضربًا فأصيب الماجور بين كوفين كومندان الكتيبة بكسر في ذراعه وجرح الملازمان سميث ويك وبرثر، وأحاط بهم الأهالي فأخذوا منهم أسلحتهم وحجزوهم»[٣].

وقد لعبت المرأة المصرية دورًا بارزًا في جهاد الحزب الوطني ووجدنا النساء

(١) مذكرات عرابي.

(٢) مذكرات عرابي.

(٣) الرافعي – مصطفى كامل – دار المعارف – القاهرة – الطبعة الخامسة ١٩٨٤ ص ٢٠٦.

تشكلن اللجان لتأبين مصطفى كامل أو محمد فريد أو التضامن مع انتفاضات طلبة المدارس فيقول الرافعي : « ... فسارت المشيعات من الفضليات والسيدات والآنسات تسير مثنى مثنى وفي أولاها أسرة الفقيد وفي الثانية لجنة تأبين من السيدات ...»[1].

وكان الحزب الوطني يهتم بنشر التعليم بين الأولاد والبنات على حد سواء يقول الرافعي : «كان محمد فريد دائمًا يدعو إلى تعميم التعليم وجعله إلزاميًا ومجانيًا لكل مصري ومصرية»[2].

◆◆◆

(١) الرافعي – محمد فريد – دار المعارف – القاهرة – الطبعة الخامسة ١٩٨٤ – ٤٢٨.

(٢) الرافعي – مرجع سابق ص ١٤٠.

obeikan.com

ثورة المرأة المسلمة في ثورة ١٩١٩

وعندما اندلعت ثورة ١٩١٩ وهي ثورة فجرها الحزب الوطني من خلال نضاله الطويل منذ أوائل القرن وحتى اندلاع الثورة، وكذا قيامه بتشكيل خلايا سرية مسلحة كان لها الفضل الأول في تفجير الثورة واستمرارها وصمودها، إلا أن تلك الثورة قد سرقها المتغربون فيما بعد[١] عندما اندلعت تلك الثورة كانت المرأة المسلمة في مصر في القلب منها وقد سجلت أحداث ثورة ١٩١٩ العديد من مظاهرات السيدات واستشهاد عدد كبير منهن ففي يوم ١٦ مارس ١٩١٩ نظمت السيدات المصريات مظاهرة احتجاج على الاحتلال يقول الرافعي: «شاركت المرأة المصرية الرجال في الثورة وأعلنت عن مساهمتها فيها بمختلف الوسائل، وكان أول مظهر رائع لهذه المساهمة تلك المظاهرة الكبرى التي قامت بها السيدات والآنسات يوم الأحد ١٦ مارس سنة ١٩١٩ وكان الغرض منها الإعراب عن شعورهن والاحتجاج على ما أصاب الشعب من القتل والتنكيل في المظاهرات السابقة، خرجت المتظاهرات في حشمة ووقار وعددهن يربو على الثلاثمائة من كرام العائلات وأعددن احتجاجًا مكتوبًا ليقدمنه إلى معتمدي الدولة وقد تضامن معهن أكثر أهل القاهرة رجالاً ونساءً وأخذوا يرددون هتافاتهن[٢]».

وقد أحدثت تلك المظاهرة دويًا هائلاً لدرجة أن حافظ إبراهيم قد سجلها في شعره بقصيدة منها:

(١) د. عصام ضياء الدين – الحزب الوطني والنضال السري – الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢) الرافعي – ثورة ١٩١٩ – دار المعارف – القاهرة – الطبعة الخامسة ص ٢٠٩ – ٢١١.

فليهنـأ الجـيش الفخـور بنصرهنـه وبكسرهنـه
فكـأنما الألمـان قـد لبسـوا البراقـع بيـنهن
وأتـوا بهنـدنبرج مختفيًـا بـمصر يقودهنـه
فلـذاك خـافوا إبـاءهن وأشـفقوا مـن كيدهنـه

***

وفي عشرين مارس نظمت السيدات مظاهرة أخرى يقول الرافعي : «وعقد النساء عزمهن على إقامة مظاهرة أخرى فاجتمعن يوم الخميس ٢٠ مارس صباحًا بالحديقة القريبة من النيل بجاردن سيتي ومن هناك سرن ماشيات وفي مقدمتهن ستة أعلام كتب على إحداها باللغة العربية «إننا نحتج على سفك دماء الأبرياء والعزل من السلاح» وكتب على الثاني «نحتج على قتل الأبرياء» وعلى الثالث «نطلب الاستقلال التام» وعلى الأعلام الثلاثة الأخرى هذه العبارات مترجمة إلى الفرنسية، وسارت المتظاهرات حتى وصلن إلى شارع قصر العيني حتى وصلن إلى شارع سعد زغلول وأخذن يهتفن ثم أقبلت قوة كبيرة من البوليس ومن الجنود الإنجليز في سيارات مسلحة فضربوا نطاقًا حولهن وظل الحصار نحو ساعتين وهن واقفات في الشمس من منتصف الساعة الحادية عشر صباحًا حتى الساعة الواحدة بعد الظهر وأرسلن باحتجاجاتهن إلى سفراء الدول»[1].

وفي يوم الجمعة ١٢ ديسمبر اجتمع عدد عظيم من السيدات المصريات من مسلمات وقبطيات بالكنيسة المرقصية للاحتجاج على قيام وزارة يوسف وهبة باشا، وقدوم لجنة ملنر وأصدرن بيانًا ضمنه رأيهن في الموقف السياسي وإخلاف الإنجليز وعودهم في المسألة المصرية وضمنه بتأييد مقاطعة لجنة ملنر والاحتجاج على

(١) الرافعي – مرجع سابق ص ٢٣٥.

قدومها والإصرار على التمسك بالاستقلال التام، وقامت السيدات يوم ١٦ يناير ١٩٢٠ بمظاهرة سارت من محطة مصر إلى شارع كامل «الجمهورية الآن» فميدان الأوبرا فميدان عابدين وتعرض لهن الجنود البريطانيون وطلبوا منهن التفرق فأبين واستمررن في المظاهرة[١].

ولعل هذه الأحداث تثبت أن المرأة المسلمة المنحازة إلى الإسلام كدين وكثقافة وكحضارة وكوطن هي التي كانت تقاوم الإنجليز ومن قبلهم الفرنسيين في حين أن أمثال قاسم أمين، كانوا منحازين للإنجليز جملة وتفصيلاً، أكثر من هذا أن النساء القبطيات وهن جزء من الانتماء الحضاري للإسلام كثقافة وكحضارة وكوطن انضممن إلى أخواتهن المسلمات، بل وقامت هؤلاء وهؤلاء بالاجتماع في الكاتدرائية المرقصية لتأكيد وحدة هذا الشعب مسلمين وأقباط في رفض الاستعمار وتأكيد الانتماء إلى الحضارة الإسلامية كثقافة وكحضارة وكوطن، في حين أن قاسم أمين الذي كان ينتمي إلى حزب الأمة وكان من كتاب صحيفة «الجريدة الناطقة» بلسان الحزب ذلك الحزب الذي يثير الفتنة الطائفية وينحاز إلى الإنجليز ويعلن عدم إيمانه بالحركة الوطنية وثقته بالإنجليز وتقديره لما قدموه إلى مصر من خدمات!

ويلخص الرافعي دور المرأة في ثورة ١٩١٩ قائلاً: «اعتادت السيدات تأليف المظاهرات وإلقاء الخطب في المجتمعات وتأليفهن الجمعيات ونشر آرائهن وأبحاثهن في الصحف والمجلات ومساهمتهن في تطور الحوادث عامة واضطلاعهن بأعمال البر والإحسان وبخاصة التي يقصد منها النهوض بالطبقات الشعبية»[٢].

(١) الرافعي – مرجع سابق ص ٤٢٧.

(٢) الرافعي – مرجع سابق ص ٥٨٤.

وهذا لعمري – هو التحرر الحقيقي للمرأة وليس ذلك التحرر الذي يدعو إليه قاسم أمين ونوال السعداوي وأمثالهما من التهتك والخلاعة والاندماج في ثقافة المستعمر والترحيب بالاحتلال!

وبالطبع لم يكن دور المرأة قاصرًا على تنظيم المظاهرات والاجتماعات النسائية بل قامت المرأة بالمشاركة في كل أحوال الثورة، ولعل مراجعة قوائم الشهداء في تلك الثورة كما جاءت في كتاب الرافعي يعطينا الدلالة القاطعة على ذلك، فقد تضمنت قوائم الشهداء عددًا كبيرًا من النساء.

ففي أسماء شهداء يوم ١٤ مارس ١٩١٩ جاء اسم السيدة حميدة خليل من الجمالية بالقاهرة (الرافعي ص ٢٠٢).

وفي المظاهرات التي اندلعت في القاهرة في أوائل شهر أبريل سجل الرافعي ضمن أسماء الشهداء السيدة شفيقة محمد من سكان قسم الخليفة استشهدت يوم ١٠ إبريل.

وكان من الأمور العادية مشاركة النساء في تشييع جنائز الشهداء يقول الرافعي : «وفي ١٢ إبريل احتفل بتشييع جنازة أربعة قتلى آخرين من شهداء المظاهرات في مشهد جليل اشترك فيه المشيعون من الرجال والنساء» (الرافعي ص ٢٣٨ من كتاب ثورة ١٩١٩).

ومن الجرحى في بلدة ميت القرشي مركز ميت غمر الآنسة صديقة عروس عبد المجيد إبراهيم (الرافعي ص٢٥١).

واستشهدت السيدة بنت بدران من كفر الوزير مركز ميت غمر دقهلية (الرافعي ص٢٥٢).

وفي دنديط مركز ميت غمر استشهدت السيدة حنيفة أم عجوة (الرافعي ص ٢٥٣).

وفي تفهنا الأشراف مركز ميت غمر دقهلية استشهد رقية بنت أحمد متولي (الرافعي ص٢٥٢).

وفي الزقازيق استشهدت أم محمد بنت جاد وعين بنت صبيح (الرافعي ص٢٥٤).

وفي الفيوم استشهدت نعمات محمد وفاطمة محمود (الرافعي ص٢٥٥).

وكان من بين شهداء مظاهرات ٩، ١٠، ١١ إبريل في القاهرة السيدة عائشة عمر من السروجية الدرب الأحمر، والسيدة شفيقة محمد من الخرطة القديمة بالخليفة، والسيدة فهيمة رياض من الدرب الأحمر (الرافعي ص٣١٤).

◆ ◆ ◆

جهاد المرأة المسلمة في عهد عبد الناصر

وإذا كنت المرأة المسلمة في مصر قد قامت بواجبها في قتال المحتلين، أو شاركت الرجال في القتال السياسي من أجل الاستقلال، ودفعت حياتها ثمنًا لهذا وذاك، فإنها أيضًا مارست النضال السياسي ضد الاستبداد، وخاصة في عهد الطاغية عبد الناصر، فها هي السيدة زينب الغزالي تدخل السجن دفاعًا عن دينها وحرية شعبها وتتعرض لأقسى أنواع التعذيب النفسي والبدني دون أن تلين لها قناة أو تتراجع عن موقفها بل تتمسك بالدين والمبدأ بلا هوادة وتظل على الطريق داخل السجن، وحتى بعد خروجها منه لم تنقطع عن جهادها بل استمر تجاهه حتى اليوم بل وتسجل خبراتها في الدعوة في كتب لتساهم بذلك في المجهود العلمي والسياسي لحركة الإخوان المسلمين[1].

وها هي زوجة المرحوم المرشد العام للإخوان المسلمين المستشار حسن الهضيبي تدخل السجن هي وبناتها دفاعًا عن الدعوة الإسلامية فتظل صامدة صابرة، وهي التي أفنت حياتها دفاعًا عن الدعوة، واهتمامًا بها من خلال زوجها ومن خلال نشاطها الشخصي في خدمة الدعوة في قسم الأخوات المسلمات والتي كانت مثالاً للتجرد والوعي في نفس الوقت، فهي ترفض أن تستخدم سيارة المرشد في غيابه لأن هذه السيارة لا تستخدم إلا في الدعوة وبالتالي فليس لها الحق في استخدامها، وهي التي ترفض محاولة بعض وزراء الثورة في استخدامها للمهادنة بين الثورة والمستشار حسن الهضيبي، فها هي تقول لزوجة أحد هؤلاء الوزراء: «يا سعدية هانم اسمعي مشكورة وبلغي السيد الوزير أن حسن الهضيبي ما تولى قيادة الإخوان

(١) زينب الغزالي – أيام من حياتي.

المسلمين إلا وهو يعلم أن سلفه العظيم حسن البنا قد اغتيل وأهدر دمه علنًا في شارع رئيسي بالعاصمة، وما رضي الهضيبي أن يكون خليفته إلا وهو ينتظر هذا المصير، وقد باع لله نفسه، وبعناه سبحانه أنفسنا معه، فلن يرانا أحد إذا كان هذا قدر الله إلا نماذج سكينة واطمئنان، سعداء أن نحتسب مصيرنا عند الله، وأوفر سعادة أن نلحق به شهداء» ثم تلتفت إلى بناتها لتقول: هذا ما عندي فماذا عندكن يا بنات.! فتنبعث الصيحة من بناتها علية وخالدة وسعاد: ليس عندنا إلا ما عندك يا أماه»[1].

ومن أقولها التي سجلها التاريخ : «وسواء استشهد الهضيبي أو طالت به حياة فلن تقف عجلة الصراع لأنه في الواقع ليس صراعًا بين الهضيبي وعبد الناصر، ولا بين الإخوان والثورة، ولكنه الصراع الأزلي الأبدي بين الحق والباطل، بين الإيمان والكفر، بين الهدى والضلال، بين جند الله وحزب الشيطان وسيظل لواء الدعوة مرفوعًا وعلمها موصولاً، ولو ذهب في سبيله آلاف الشهداء من رجال ونساء حتى تعلو كلمة الله، ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون»[2].

وها هي السيدة أم محمد عبد المنعم. وهو أحد الإخوان بالإسكندرية عندما اعتقل ابنها في ١٩٥٤، ١٩٦٥ ظلت صابرة محتسبة معتزة بابنها وجهاده مكررة قول أسماء في ولدها عبد الله بن الزبير وهو يواجه القتل : «اللهم قد سلمته لأمرك ورضيت بما قضيت فأثبني فيه ثواب الصابرين الشاكرين»[3].

وعلى نفس الدرب لمعت أسماء مثل الأخوات فاطمة البدري وسنية الوشامي وسنية عبد الواحد وأمينة الجوهري وحميدة قطب وأمينة قطب وغيرهن.

(١) مقال للأستاذ عبد الحكيم عابدين في مجلة الشهاب البيروتية – العدد ١٥ سنة ١٩٧٤.

(٢) نفس المرجع السابق.

(٣) محمد محمود الجوهري – الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية.

في أعقاب حادث المنصة الذي نفذه خالد الإسلامبولي ورفاقه في ٦ أكتوبر ١٩٨١ لمع اسم السيدة الفاضلة أم خالد الإسلامبولي فلولا هذه السيدة الفاضلة لما حدث أي استفادة سياسية من حادث المنصة، ومما لا شك فيه أن حادث المنصة قد حقق فائدة سياسية ضخمة للاتجاه الإسلامي داخل مصر وخارجها، وكان من الممكن أن يتم تطويق الآثار السياسية للحادث، وخاصة أن الإعلام الحكومي والعلماني قد بدأ يؤدي هذه المهمة عقب الحادث مباشرة، واصفًا هؤلاء الذين قاموا بالعملية بأنهم مجموعة من المعقدين نفسيًا أو الذين في شقاق مع أهلهم.

وكان هذا الإعلام يستهدف حصار هؤلاء الشباب نفسيًا عن طريق الضغط عليهم داخل السجن وعن طريق استدراج أهلهم لاستنكار ما فعلوه والتبرؤ منهم، ولكن أم خالد وقفت شامخة تعلن فخرها واعتزازها بما قام به ابنها وتعلن تضامنها معه مما كان له الأثر في رفع الروح المعنوية لابنها ورفاقه في السجن، وكذلك أعلنت أن ابنها كان مثالاً للابن البار بأهله، وأنه فعل ذلك من أجل الإسلام ومصر وليس كمجرد رد فعل لعقد شخصية أو غيرها مما أفسد الخطة الإعلامية التطويقية التي أرادت إفساد الأثر السياسي للحادث، بل إن أم خالد بموقفها هذا وزيارتها لابنها ورفاقه وتصريحاتها المتكررة ونشاطها بين أسر المتهمين جعلت المتهمين أنفسهم يعلنون اعتزازهم بما فعلوه ويعلنون أسباب قيامهم بهذا العمل.

ومن الأشياء التي يعتز بها التاريخ الإسلامي المعاصر، أن أم خالد الإسلامبولي قد أعلنت عقب استشهاد ابنها بعد تنفيذ حكم الإعدام فيه أنها تحتسبه شهيدًا عند الله، بل وتقوم بذبح خروف بهذه المناسبة وتقوم بتوزيع اللحوم على الجنود والمساجين بهذه المناسبة[1].

◆◆◆

(١) د. محمد مورو – تنظيم الجهاد الجذور والأسرار – الشركة العربية الدولية للنشر – القاهرة – ١٩٩٠.